

الحلقة (٣٠)

موضوع هذه الحلقة هو تفسير الآية الأخيرة المقررة في هذا المنهج وهي ذات الرقم ٢٠٣ من سورة البقرة {وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ

مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}

اختلف في المراد بالذكر هنا في هذه الآية في قوله عز وجل {وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ} على قولين:

• القول الأول: أنه التكبير عند الجمرات، وإدبار الصلوات وغير ذلك من أوقات الحج، معروف كما ذكرت في حلقات ومحاضرات سابقة أنه يسن للحاج إذا أراد أن يرمي الجمار أن يقول الله أكبر الله أكبر مع كل حصة، وأيضا إدبار الصلوات، وهذا ما يسميه العلماء بالتكبير المقيد، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، لله أكبر الله أكبر والله الحمد.

• القول الثاني: أنه التكبير عقب الصلوات المفروضة فقط، واختلف أرباب هذا القول الذين هم أصحاب القول الثاني الذين قيدوه بأنه ما بعد الصلوات المفروضة اختلفوا متى يبدأ هذا الوقت: على ستة أقوال:

• القول الأول: أنه يبدأ من صلاة الفجر يوم عرفة إلى ما بعد صلاة العصر من آخر أيام التشريق، قاله علي وأبو يوسف ومحمد.

• القول الثاني: أنه من صلاة الفجر يوم عرفة إلى صلاة العصر من يوم النحر، يعني يوم عشرة، يوم العيد، هذا القول قاله ابن مسعود وأبو حنيفة.

• القول الثالث: أنه من بعد صلاة الظهر يوم النحر إلى ما بعد العصر من آخر أيام التشريق، وهذا قول ابن عمر وزيد بن ثابت وابن عباس وعطاء رحمهم الله ورضي عنهم.

• القول الرابع: أنه يكبر من صلاة الظهر يوم النحر إلى ما بعد صلاة الظهر من يوم النفر وهو اليوم الثاني من أيام التشريق وهذا قول الحسن.

• القول الخامس: أنه يكبر من الظهر يوم النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق يعني إلى صلاة الفجر وهو اليوم الثالث عشر وهذا قول مالك بن أنس وهو أحد قولي الشافعي

• القول السادس: أنه يكبر من صلاة المغرب ليلة النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق، وهذا قول الشافعي.

الحقيقة والله أعلم أن الأقرب أنه يبدأ من فجر يوم عرفة إلى بعد صلاة العصر من آخر أيام التشريق "وهو اليوم الثالث عشر" وهو القول الأول هذا على العموم إذا كان لغير المحرم.

أما المحرم وهو رأي الإمام أحمد رحمه الله يفصل، فيقول أن هذا القول يختص بالمحل غير المحرم يبدأ من فجر يوم عرفة إلى العصر آخر أيام التشريق أما من كان محرما فإنه يبدأ من الظهر يوم النحر وينتهي بمثل ما ينتهي إليه المحرم.

إذن نعيد مرة أخرى فأقول: القول هذا فيه إجمال ولكن على التفصيل يقول الإمام أحمد وهو قول للإمام الشافعي أيضا أنه البداية تختلف بين المحل وبين المحرم المحل يبدأ من فجر يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق، أما المحرم فيبدأ من ظهر يوم النحر لأن الفجر كان مشغولا بذكر الله في مزدلفة وكذا، لكن يبدأ من ظهر يوم النحر إلى العصر من آخر أيام التشريق فالنهاية واحدة والبداية تختلف.

هنا تساؤل هل هذا التكبير هذا الذكر يعني يختص بمن صلى مع جماعة؟ أو لو فرضا إنسانا فاتته الصلاة هل يكبر؟ أو لا

يكبر؟ هل هو خاص بمن يصلي مع جماعة، أو واحد فاتته الصلاة هل يكبر أم لا؟ على قولين:

• القول الأول: أنه يختص بمن صلاها في جماعة، "لو واحد ما صلى جماعة معناه لا يكبر" وهو رواية عن الإمام أحمد وقول لأبي حنيفة رحمهما الله تعالى.

• القول الثاني: أنه يختص بالفريضة وإن صلاها وحده، وهي رواية أخرى عن الإمام أحمد، وهو قول الشافعي وهذا هو

الأقرب، القول الأقرب أهم شيء أنها بعد الفريضة، سواء صلاها مع الجماعة أو لم يصلها مع الجماعة فإنه يكبر، هذا هو

القول الراجح أن التكبير يشمل فيما لو صلى مع جماعة أولم يصلي مع جماعة المهم أن الذكر يكون بعد الفريضة.

في قوله تبارك وتعالى {وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ}

الأيام المعدودات اختلف فيها على ثلاثة أقوال:

• القول الأول: أنها أيام التشريق، قاله ابن عمر وابن عباس والحسن وعطاء ومجاهد وقتادة وآخرون يعني أيام التشريق (الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر).

• القول الثاني: أنها يوم النحر ويومان بعده يعني (العاشر، والحادي عشر، والثاني عشر) روي عن علي وابن عمر.

• القول الثالث: أنه أيام العشر قاله سعيد بن جبير والنخعي.

قال الزجاج: ومعدودات يستعمل كثيرا للشيء القليل، كما يقال دريهمات وحمامات، على كل حال يعني معدودات تكون على القليل فهنا ثلاثة أقوال، منهم من يرى أنها في العشر عشر ذي الحجة، ومنهم من يرى أنها أيام التشريق، ومنهم من يرى أن يوم النحر ويومان بعده، والصحيح أو لعل الأقرب والله أعلم أنها تشمل الجميع، يعني أنها عشر ذي الحجة وأيضا معها أيام التشريق، ومعناه من اليوم الأول إلى اليوم الثالث عشر والعلم عند الله تبارك وتعالى.

ثم قال تبارك وتعالى بعد ذلك: {فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى} هنا الآن بيان حكم التعجل، ومعروف أن للحاج أن يتعجل، أن ينفر قبل غروب الشمس من اليوم الثاني عشر، هذا يعتبر متعجل ويذهب إلى الحرم ويطوف طواف الوداع، وبهذا يكون قد انتهى والله الحمد، وعلى كل حال هذا هو التعجل ينصرف قبل غروب الشمس، ولو فرضا غابت عليه الشمس، نقول تبقى في منى وتبيت ليلة الثالث عشر، وإذا زالت الشمس يوم الثالث عشر ترمي الأولى والوسطى والعقبة ثم تنصرف إلى الحرم، وتطوف طواف الوداع، لكن لو فرضا إنسان تجهز ليتعجل قبل غروب الشمس، ولكن فقد شيئا أو زحام أو كذا، فنقول لا حرج عليه حتى لو غابت عليه الشمس وهو في منى وقد استعد ونوى الخروج ولكن قلت زحام أو فقدوا شيئا أو ضاع شيء ما وجلسوا ينتظرون يبحثون وغابت فلا حرج عليهم لو تعجلوا فلا حرج عليهم، يعتبر تعجلوا ولو غابت عليهم الشمس والحالة هذه، على كل حال يعني فمن تعجل في يومين أي من تعجل النفرة في اليوم الثاني من أيام منى فلا إثم عليه.

ثم قال تبارك وتعالى: {وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} يعني من جلس إلى اليوم الثالث عشر إلى اليوم الثالث من أيام منى فلا إثم عليه، ولا شك أن التأخر هو الأفضل، فعل النبي صلى الله عليه وسلم هدي النبي صلى الله عليه وسلم أنه تأخر لليوم الثالث عشر، أيضا فيه زيادة أعمال، فيه مبيت في منى، وفيه رمي جمار، وفيه دعاء، وفيه ذكر، فما فيه شك أن التأخر أفضل من التعجل، والتعجل جائز والله الحمد، والتأخر هو الأفضل، وهو هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

هنا تساؤل يطرحه بعض الناس الله جل وعلا يقول {فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} هذا صحيح واضح أن الذي يتعجل لا إثم عليه طيب المتأخر، الله جل وعلا قال: {وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} طيب المتأخر ما الذي عمل حتى يكون إثم عليه؟

هنا تساؤل حقيقة يقال إنما يخاف الإثم للمتعجل فما بال المتأخر ألحق به؟ والذي أتى به أفضل؟! والآن ما شاء الله جلس

زيادة يوم وهذا أفضل فكيف نقول فلا إثم عليه، كيف يجاب عن هذا؟ هذا محل تساؤل؟

وقد أجاب عنه العلماء بأربعة أجوبة:

■ **الجواب الأول:** قالوا لا إثم على المتعجل، والمتأخر مأجور، فقال لا إثم عليه لتوافق اللفظة الثانية للأولى، كقوله تعالى {فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ}، يعني من باب التوافق بين اللفظة الأولى واللفظة الثانية فقط، وإلا إن شاء الله فهو لا إثم عليه، مثل {فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ}، طيب هل الاعتداء الثاني هو اعتداء حقيقي؟ لا، المقصود فمن اعتدى عليكم فجازوه فلكم الحق أن تأخذوا جزاؤكم منه، وأن تطالبوا بحقوقكم، وليس اعتداء، ولو كل واحد يطالب بحقه على الشخص الذي اعتدى عليه يعتبر معتديا ظالما، لا حاشا وكلا، هو من باب المجانسة المشاكلة بين اللفظتين .

■ **الجواب الثاني:** أن المعنى فلا إثم على المتأخر في ترك استعمال الرخصة، الله رخص لك أن تتعجل اليوم الثاني عشر، كونك ما أخذت هذه الرخصة بقيت إلى الأفضل لا إثم عليك حين تركت الأخذ بالرخصة.

■ **الجواب الثالث:** أن المعنى قد زالت آثام المتعجل والمتأخر التي كانت عليهما قبل حجهما، يعني الآن ليس المقصود فلا إثم عليه في مسألة التعجل والتأخر لا، بل إن الله جل وعلا أبان لنا وبشرنا بأن المتعجل والمتأخر زالت آثامهما ومحيت ذنوبهما وغفرت زلاتهما من متعجل ومتأخر، وحقيقة أن هذا توجيه مناسب وقوي، لأنه يقال أيها المتعجل انصرف مأجورا أيها المتأخر انصرف مأجورا لا إثم عليكما، ولا ذنب ولا خطيئة (فالحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) وفي الحديث الآخر (من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه) .

■ **الجواب الرابع:** أن طرح المأثم عن المتعجل والمتأخر إنما يكون بشرط التقوى يعني القول الرابع مثل الثالث الحقيقة ولكن فيه تقييد، أيها المتعجل أبشر بفضل الله وأبشر بأن ذنوبك محيت عنك، أنت أيها المتأخر أيضا أبشر بأن الله قد محى ذنوبك وستر عليك، ولكن هذا مشروط بشرط عظيم لمن اتقى، هل نحن حققنا مقام التقوى؟ هل نحن اجتهدنا في تقوى الله جل وعلا؟ حرصنا أن نتقي عذاب النار بفعل الأوامر وترك النواهي؟

نعم {كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} والحقيقة هذا قول مناسب وقوي جداً، وله حظ من النظر، أن ثواب إزاحة هذا الإثم {فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} للمتعجل والمتأخر مقيد بتقوى الله جل وعلا، من حقق مقام التقوى لله تبارك وتعالى {لِمَنِ اتَّقَى} فالحقيقة

الأقوال متقاربة ومتناسبة القول الأول فيه قوة، والقولان الثالث والرابع، **القول الأول** الذي هو أنه جاءت هذه الكلمة لتوافق اللفظة الثانية الأولى مثل قول الله عز وجل {فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} **القول الثاني** أنه فلا إثم عليك أيها المتأخر لأنك تركت الرخصة وهذا حقيقة قول ضعيف ليس يعني بالوجه وتركه للأفضل فكيف يقال لا إثم عليك لأنك تركت الرخصة هذا قول ضعيف الذي هو القول الثاني والقول الثاني فيه ضعف، **أما القول الثالث** فإنه قد زالت آثام المتعجل والمتأخر من فضل الله سبحانه وتعالى، **والقول الرابع** قيد القول الثالث فقال لمن اتقى أي من حقق مقام التقوى لله عز وجل،

قوله تبارك وتعالى {لِمَنِ اتَّقَى} في المراد بهذا ثلاثة أقوال:

• **القول الأول:** لمن اتقى قتل الصيد، هذا قول ابن عباس، والحقيقة الصيد كان مشهورا عندهم وقيل التقوى: يعني يتقي قتل الصيد، ومن المعلوم أن من محظورات الإحرام قتل الصيد، وأيضا من المنوعات في حدود الحرم قتل الصيد، سواء كان محرما أو غير محرر، أما المحرم فلا شك أنه من محظورات الإحرام قتل الصيد، والعلماء ذكروا أن الحكمة في أن المحرم الذي تلبس بنسك الحج أو العمرة يمنع من قتل الصيد لأنه ينشغل بذلك، ومن تبع الصيد غفل كما جاء في الحديث، والمعتزم والحاج جاء في عبادة، جاء يطلب ما عند الله، يبتغي رضوان الله والجنة، فكونه يلاحق الصيد ويطارد ويضيع وقته وينشغل به .

وينصرف عن عبادة الله هذا مخالف، ولذلك من محظورات الإحرام قتل الصيد، وأيضا من كان داخلا في حدود الحرم فهذا أيضا من تعظيم الحرم أنه لا يقتل الصيد ولا ينفره يعني إلى آخره مما هو معلوم في السنة هذا القول الأول.

• **القول الثاني: لمن اتقى المعاصي في حجه،** قاله قتادة ابن مسعود "إنما مغفرة الله لمن اتقى الله في حجه"، لمن ترك المعاصي والذنوب وهذا يرتبط بما ذكرناه آنفا في قول الله عز وجل: "فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج" يبتعد عن الجماع ودواعيه، الفسوق قلنا الراجح هو المعاصي كلها، والجدال هو المخاصمة سواء في أمور الدين أو أمور الدنيا، وهذا سبق بيانه.

• **القول الثالث: لمن اتقى فيما بقي من عمره،** نعم، نحن ذكرنا أن من علامات الحج المبرور كما قال العلماء: أن يرجع الحاج بحال أفضل مما كان عليه قبل الحج، فيرجع مطيعا بعد ما كان عاصيا، تائبا بعد أن كان مذنباً، متقيا بعد أن كان غافلاً، فهذا القول قاله أبو العالية وإبراهيم النخعي، **فعلى كل حال الأقوال كلها صحيحة** ولكن نحن نؤكد على أنه ينبغي للحاج أن يحرص على تحقيق مقام التقوى، وأن يلزم طاعة الله جل وعلا، وأن يستمر على ذلك، فإن من علامة قبول الحسنات اتباعها الحسنات الأخرى، ولما قيل لابن عمر رضي الله عنهما: ما أكثر الحاج؟ فقال رضي الله عنه: "بل ما أكثر الركب وأقل الحاج" يعني ما أكثر من جاء وراح إما مخالفا للسنة، أو عليه أخطاء، ماله الذي حج به مال حرام، يعني مرأى في عمله، واقع في الشرك مثلاً، يعني أشياء كثيرة فإذا أردت أيها الأخ الكريم أيها الحاج طالب العلم فالزم تقوى الله تبارك وتعالى: { **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** }.

إيمان العبد بالشر والجزاء والوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى يدفعه للعمل الصالح، يعينه على طاعة الله، يجعله يحاسب نفسه، يراقبها، ينظر في أعماله، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وهكذا المؤمن لا يزال موصولاً يتذكر الدار الآخرة، ولذلك دائماً نرى في الأحاديث: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) ومن كان كذا دائماً الربط بالدار الآخرة، فالعبد عندما يؤمن ويقر ويصدق وكلنا والله الحمد نؤمن بهذا وهذا ركن من أركان الإيمان، الإيمان باليوم الآخر لا شك أن هذا يدفعه للعمل الصالح، يجعله يحاسب نفسه، ينظر في أعماله، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لن تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه) أو (ماذا عمل به)، فالإنسان عندما يعلم هذا ويقر لا شك أنه يستعد للقاء الله، ويتهيأ بالعمل الصالح واللجوء والصدق والدعاء والإنابة إلى الله تبارك وتعالى وغير ذلك من المعاني العظيمة.

هذه الآيات التي جاءت في الحج اشتملت على أحكام عظيمة، تدل على قدسية هذا الحج، وعلى منزلته العظيمة، وأن هذا الثواب الذي رتب عليه ثواب عظيم (والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) والحديث الآخر: (من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه)، هذا يجعل الحاج يعتني بحجه من حيث تصحيح النية، ومن حيث التخلص من الشراكيات والبدع، ومن أن يكون ماله حلال، من حيث أن يأتي بالحج على سنة النبي صلى الله عليه وسلم قدر ما يستطيع، أما الزحام والمضايقات ما أحد إن شاء الله يفرح بهذا، يبتعد عن اللجج وعن الخصومة عن المعاصي الفسوق، يجعل نصب عينيه أن يكون حجه مقبولاً، يتقرب إلى الله في ذلك الحج بغاية ما يستطيع، يسأل الله في الأول والآخر أن يتقبل الله حجه { **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** }، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: "والله لو أعلم أن لي سجدة واحدة متقبلة لتمنيت الموت بعدها".

طيب هذا الفضل العظيم وهذا الخير له شرائط وهو ما ذكرته آنفاً، فالله الله أيها الإخوة نعتني بهذا ونتفقه في أمور حجنا، وفي أمور عبادتنا، وطاعتنا، وطالب العلم والله الحمد في هذه الجامعة يدرس أحكام الحج هنا في تفسير آيات الأحكام، وفي

أحاديث الأحكام، وفي الفقه، ويسأل عما أشكل عليه، والحج لا يفقهه طالب العلم كثيرا إلى أن يطبقه ويعيش واقعه، لأن الإنسان في الكلام النظري ما فيه شك أن الإنسان يستفيد ويقعد ويؤصل ويعرف الأحكام والمسائل، ولكن عند التطبيق لا شك أنه سيستفيد أكثر وأكثر وبخاصة إذا كان في صحبة العلماء وصحبة أهل الخير يستفيد منهم ويتعلم منهم، وقد كان سلفنا الصالح كما ذكر الحافظ ابن رجب في كتابه لطائف المعارف يحرصون على صحبة أهل الخير في السفر وبخاصة في الحج، كان التابعون رحمهم الله تعالى يحرصون على صحبة الصحابة من أجل خدمتهم والاستفادة منهم، ولكن بعض الصحابة كان يأبى إلا أن يخدمهم، كما روي عن بعضهم في هذا، المهم كانوا يحبون الاستفادة منهم والتعلم والازدياد من طاعة الله عز وجل.

وحبذا لو مررت أخي في الله على تفسير القرآن كاملا مثلا في المختصرات مثل تفسير الشيخ السعدي مثل تفسير الكريم الرحمن، في تفسير الكريم المنان، ينبغي للإنسان أن يتدبر ويتفقه ويتعلم أحكام القرآن وهذا المنهج الذي ربي عليه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يقول أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي رحمه الله حدثنا الذين كانوا يقرؤنا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما رضي الله عنهم أنهم كانوا إذا تعلموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يتعلموا ما فيهن من العلم والعمل، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا، قال والدنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: دل هذا الأثر على أن القرآن أنزل لثلاثة مقاصد عظيمة: تلاوة القرآن وحفظه تدبر القرآن والعلم بتفسيره قال تعلمنا القرآن والعلم وفقه أحكامه والعمل وهو العمل بالقرآن والسنة والسير على نهج القرآن كما قال

سبحانه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}

تم بحمد الله وعونه.